جذور الهوية اللّسانيّة في الجزائر وأبعادها الحضاريّة العربيّة والسّاميّة "قراءة في المسح اللّساني الجغرافي لأصقاع جزائريّة"

"The roots of linguistic identity in Algeria and its Arab and Semitic cultural dimensions" geographical linguistic study

الأستاذ: محمّد نجيب مغني صنديد

أستاذ محاضر

البريد الإلكتروني: marni.sandid79@gmail.com

المركز الجامعي بلحاج بوشعيب- عين تموشنت (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2018-12-28 تاريخ القبول: 2019-04-16

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الملخص :

تحيلنا المؤشّرات اللّسانيّة الجغرافيّة، والتّصرفات اللّهجيّة، للتّكلّمات المحلّيّة الجزائريّة اليوميّة، والمتراكمة في المنتوج الأدبي الأنثروبولوجي،إلى جمهرة من الملاحظات،تعتمد أساساً في بناء دراسة أكاديميّة،تهتمّ الطّباع اللّسانيّة اللّهجيّة الجزائريّة،وخصيصة هويّته اللّغويّة،الّتي تتصل بجذورها العربيّة،الضّاربة في نواة التّاريخ البشري،العروبي منه والسّامي.

ويحيلنا المسح اللّساني الجغرافي،لبعض من أجزاء القطر الجزائري الكبير أيضاً،على كمٍّ غزيرٍ من العوائد الكلاميّة العربيّة،البائدة في استعمالها الرّاهن،إذ تمثّل كلّ المفردة فيها طقساً لغويّاً لهجيّاً،قد لهجت به العرب،في تشكيلاتها القبليّة الأولى،فانحدرت بعد ذلك- وبعد الهجرات العربيّة الإسلاميّة-إلى الجزائر،أين توطّنت مواطن جغرافيّة وتضاريسيّة،أشبه بتلك الّتي توطّنتها في جزيرة العرب؛لتتفاعل كلّ هذه المعطيات الأنثروبولوجيّة،في رسم الصّورة اللّهجيّة اللّسانيّة للفرد الجزائري،وفي صناعة إكسير الهويّة اللّغويّة لديه،على ما أنتجه تفاعل الطّابع اللّساني اللّهجي للشّخصيّة الجزائريّة،والعوائد الكلاميّة في التّكلّمات العهديّة اليوميّة،والطّباع النّفسيّة والاجتماعيّة،الّتي تشاكلت في صناعة هاته الصّورة،وفي هذا الإكسير.

الكلمات المفتاحية :اللهجات العربيّة- الأطلس اللّهجي- المسح الجغرافي- البيئة الإقليميّة اللّهجيّة- المسح البيئي الاجتماعي والنّفسي واللّهجي - الصّوائت والصّوامت- الأجناس البشريّة(العربي الأمازيغي- العبري- الآرامي).

Summary:

The geographical linguistic, and rhetorical tendencies of the local Algerian daily discourse, accumulated in the anthropological literary product, refer to a multitude of observations, mainly based on the construction of an academic study, concerned with the linguistic language of Algeria and its linguistic identity, Human, Arab and Semitic.

The geographical linguistic survey, for some parts of the great Algerian country, also tells us how much of the Arabic word revenue is used in its current use. The whole text represents a dialectical dialect, which the Arabs, in their first tribal formations, Arab and Islamic migrations - to Algeria, where geographical and heterogeneous places were established, similar to those that settled in the Arabian Peninsula; all these anthropological data interact in drawing the linguistic linguistic image of the Algerian individual and in the industry of elixir of his linguistic identity, Algerian linguistic dimensions Allahja personality, and returns of words in Altkellmat Aaladah daily, psychological, social and foul, which Chaklt industry in these circumstances the image, and in this elixir.

Keywords: *Arabic Dialects, Atlas, Al-Lahji, Geographical Survey, Regional Environment, Social, Psychological and Spatial Survey, Al-Sawyat and Silamat, Human Genes (Amazigh Arabic, Hebrew, Aramaic.)*

توطئة :

لا يختلف الإنسان الجزائري،عن المنظومة البشريّة،الشّغوفة بالبحث عن أصولها العرقيّة والثّقافيّة،وما تحملاه من مكوّناتهما اللّغويّة الأم،وظواهرها اللّهجيّة،المتفرّعة عنها؛وذلك من منطلق السّعي وراء إثبات الهوية المرجعيّة،ومن دافع حبّ الانتماء،الّذي يخلق مع الإنسان ذاته.وممّا شكّ فيه أنّ ردّ الفرع إلى الأصل جائزٌ،ولا ينعكس ذلك،كما هي الحال،في القاعدة الأصوليّة الفقهيّة واللّغويّة،هذا من جهةٍ،ومن أخرى،ما جاء في شاهد الرّوم،أنّ حكم الله تعالى، ونواميسه في كونه،الاختلاف في الألسنة والألوان،من ذاك قوله:﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾[1].وعلى الرّغم من الاختلاف،المنطوق به في الشّاهد،إلاّ أنّه يحمل في مدلوله الإيحائي الجانبي،الاتّحاد في الأصل والنّشأة،للإنسان الأوّل ذاته وأنّ هذا الحدث الكوني الكبير،لا يختلف عن الظّواهر الكونيّة الكبرى الأخرى،وإنّما هو ثالث ستّةٍ[2]؛يتوسّط هذه الحلقة الكونيّة،المرامة في حياة الإنسانيّة،والجهل بهذه الحقيقة،وإن ألبست ثوب العلميّة المادّيّة،جزءٌ من العلم الظّاهري،في الحياة الدّنيا،وما أكثر مرديه،في زماننا هذا ﴿**وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ*يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾[3].إذ تمكّننا القراءة اللّسانيّة الجغرافيّة،للآية الأولى،من حقائق معرفيّة أوّليّة،بعد استنطاق المفردات اللّغويّة، الواردة فيها؛منها:الخلق والسّموات والأرض،والاختلاف والألسنة والألوان.فمن دلالات المفردة الأولى:الإنشاء والتّقدير،والتّمام والحسن،والاعتدال والسّليقة[4]؛وعليه اختلاف الألسنة خلقة الله تعالى وسنّته،وحسن تقديره وتمامه، وفق تقويم الإنسان،المهيأ لهذا،وموافقة لسليقته التّكوينيّة،الذّاتية والمحيطة به.وأمّا ما ورد من دلالات مفردة الاختلاف، فهي دوال عدم الاتّفاق،والتّردّد بين الذّهاب والجيئة،ونقيض الأمام.

وأمّا الاختلاف[5]،فمن دلالاته:عدم الاتّفاق والتّساوي،وهو نظير الأمام والقدّام،والتّردّد بين الذّهاب والجيئة؛ ومن هذا يكون اختلاف الألسنة،فتتباين وتخالف بعضها بعضاً،وتُرفَع بعضها،وتُوضَع نظيراتها، وتتقدّم وتتأخّر الأخرى،وتتردّد على ألسنة النّاس،ويتداولونها بينهم،وتهُمَل قريناتها.وأمّا الألسنة،فمن دوال صيغتها الصّرفيّة القلّة،وإن اختلفت واختلطت،وقد يكون دليلاً على قلّة الأصول فيها؛وينضاف إلى هذا،أنّ المعجمة تضمّ معنى البلبلة والاختلاط[6].وأمّا الألوان،فهي تالية للألسنة،في القلّة والاختلاف وهي دوال الأنواع والضّروب[7].

وحتّى ينجلي الغموض في الأمر،وتُمتلَك ناصيته،بقبض يسير،يُراعى التّرتيب في المواد السّتّ المذكورة.وعليه يكون خلق السّماوات،وما تعنيه من الموقع الفلكي،لأيّ منطقةٍ جغرافيّةٍ من الأرض،أمراً مضبوطاً بنواميس،وكذلك توزّع ألسنةٍ معيّنةٍ،في مواقع فلكيّةٍ مهيّئةٍ لها،من حيث الأقاليم؛كما هي الحال،في الاعتدال الخلقي والأخلاقي،والنّفسي والمزاجي،للشّعوب السّامية،الّتي في جزيرة العرب،في الإقليم الفلكي الرّابع،وهو الأوسط،وما يقابله من الاعتدال اللّغوي،في لهجهم وسلوكهم اللّساني[8].

ويكون خلق الأرض،وما حوت من جغرافيّة التّضاريس،سهلها ووعرها،وسطحها وغورها،ومرتفعها ومنخفضها،وما حوت أيضاً من الأتربة،والنّبات والشّجر،والحيوان والإنسان.فاقتضت حكمته تعالى في أرضه،أن يكون تواجد الإنسان،بحسب ما هو مهيّأٌ له ممّا يستوطنه،وكلّ ما خرج عن سيطرته،بيئيّاً وجغرافيّاً، وفيزيولوجيّاً ونفسيّاً،فهو منضبطٌ، وموضوعٌ لأجله،ومرصودٌ مقدّرٌ له ليناسب لسانه،المتكلّم به،ولونه الذّي يحمله طبعه.

ولمّا كان تأخّر اختلاف الألسنة والألوان،بعد تعيين الموقع الفلكي،لكلّ فئةٍ بشريّةٍ على المعمورة،وتحديد تموقع كلٍّ منها،وفق أقاليم جغرافيّة معيّنة،كان اختلاف الألسنة أمكن من الألوان،لما تحمل الأولى من الضّوابط النّفسيّة، والثّانية من الضّوابط الفيزيولوجيّة،والنّفس أولى من الخِلقة.كما أنّ اللّون متعلّق بلسانه،لأنّه فرعٌ عن اللّسان الأوّل، فاقتضت الوضع،جعل اللّون بحسب تباين اللّسان؛النّاطق بحال اللّون، الحاوي للجنس البشري،وطبعه ومزاجه،وأغواره النّفسيّة،وأنماطه التّفكيريّة،وغيرها ممّا يحدّد مواقع الأرض الفلكيّة،وطبيعتها الجغرافيّة.

❖ **الأطلس اللّهجي العربي القديم** :

تستدعي اللّسانيّة الجغرافيّة،معرفة التّوزيع الجغرافي اللّغوي،لأيّ مادّة لهجيّة،المراد دراستها،وذلك بالوقوف على خصائصها الجيوإقليميّة،والجيوبيئيّة،والتّضاريس الجغرافيّة،لبيئة الإنسان اللاّهج بهذه الخواصّ الصّوتيّة،الدّالّة على المرجعيّة الأصوليّة،البيئيّة العربيّة الأولى،والعرقيّ القبليّة،في جزيرة العرب،والّتي يستحيل أن تطابق،وأن توافق تلك اللّهجات،المتفرّعة عنها،في الجهة الغربيّة الجزائريّة،دون أن تكون أصلاً لها.

وتنضاف إلى هذا أيضاً،عوامل الهجرات التّاريخيّة،للإنسان السّامي الأوّل،في العصور المتقدّمة إلى المواطن الجزائريّة،وكذا الهجرات العربيّة،في فترات الفتح الإسلامي،وتلك الّتي كانت للقبائل العربيّة البدويّة،في الفترة الفاطميّة،وهي أكثر ظهوراً وحضوراً،في التّأثير والتّفاعل الاجتماعيين والنّفسيين،وما ترتّب عنهما من تنوّع اللّهجات.زيادةً على الأصول الأمازيغيّة السّامية،وكذلك الاحتكاك الاجتماعي والاقتصادي،للجماعات البشريّة الأمازيغيّة،والعربيّة الإسلاميّة،والأجناس السّامية.إضافةً إلى عوامل التّجاور،والتّفاعل والتّعايش الحضاريّة مع الشّعوب المهاجرة السّاميّة،من مواطن جغرافيّة،تضمّ كلّ هذا المزيج الجنسي البشري،حيث تجمعهم بيئةٌ طبيعيّةٌ وتضاريسيّةٌ،أشبه بالمنشأ الجغرافي الأوّل،لهذه الأجناس البشريّة.

ولعلّ الاحتكاك اللّغوي اللّهجي،قد اقتصر على الجماعات العبريّة،بأوفر حظٍّ،للمشترك العقدي الدّيني، وأمّا الآرامي،فهو قليل المواضع،إلاّ ما جاء من الخواصّ اللّهجيّة واللّغويّة،المتعلّقة بالصّوائت،وبعض المقاطع الصّوتيّة المفتوحة.ولعلّه ما يعضد هذا أيضاً،أنّ الأمر شاخصٌ،فيتوطّن الجنس العبري،خاصّةً المناطق ذات الخصائص التّضاريسيّة،والبيئيّة الجغرافيّة،شبيهةً بتلك الّتي كانوا بها،قبل هجرتهم الأولى التّجاريّة،إلى تونس والجزائر،والثّانية القصريّة،بعد محاكم التّفتيش القوطيّة،واستيطانهم الجهة الغربيّة الجزائريّة؛ولم يكن هذا من قبيل المصادفة،وإنّما هو دافعٌ فطريٌّ بشريٌّ،أن يسكن الإنسان موطناً جديداً،يشبه ذلك الّذي عاشه،وعايشه أفراده، فالوطن جزءٌ من الهوّية،كما اللّسان واللّهجة كذلك.

هذا؛ ويمثّل الدّرس الصّوتي العربي القديم،خاصّة فيما تعلّق بجانبه اللّهجي،مجالاً خصباً،في الدّراسة اللّسانيّة الجغرافيّة،لمناطق رحبةٍ من القطر الجزائري،لاسيما الغربيّة منه،ذات الأصول العربيّة،فرداً وعرقاً وثقافةً، وسلوكاً لغويّاً لهجيّاً،وبنسبة كبيرةٍ،حسب استطلاع للألقاب العائليّة،وأسماء أفرادها وكُناهم،إلاّ ما كان من سلالات القبائل الأمازيغيّة، المحفوظة في كتب التّاريخ، الّتي تناولت الدّول المتعاقبة على الجزائر.

تظهر العفويّة العلميّة،الّتي اصطبغت بها الدّراسات الصّوتيّة العربيّة الكلاسيكيّة،مسجّلةً عملاً تطبيقيّاً وميدانيّاً، للّهجات العربيّة، الّتي لهج بها سكّان قبائل الجزيرة، واصفين خصائصها، وتموقعها وتوزيعها، ومحدّدين بعض العوامل البيئيّة الجغرافيّة والإقليميّة،والاجتماعيّة والنّفسيّة،للفرد المستوطن لهذه الأخيرة،فكان أطلساً جغرافيّاً لغويّاً ولهجيّاً،يقوم على العمل الميداني التّطبيقي[9]،دون التّنظير له،ليُصبح مقيّداً بآراء،قد تكون معياريّة في أغلبها،كتلك الّتي كانت من اللّسانيين الغربيين،في صناعة الأطالس الجغرافيّة اللّغويّة،منطلقين من نتائج النّظريّات المتوصّل إليها[10]؛على عكس ما كان من اللّسانيين العرب القدامى،من باعتمادهم المستويين النّحوي الإعرابي والصّرفي،في التّأويل اللّغوي، للظّواهر اللّهجيّة،وفي تحديد القبائل اللاّهجة بها،ومن تمّ تحديد التّوزيع الجغرافي اللّغوي القبلي العربي في الجزيرة[11].

ويتبّن من جمهرة الملاحظات اللّسانيّة اللّهجيّة،واللّغويّة الجغرافيّة،للّغويين العرب القدامى ونحّاتهم، المسجّلة في مصنّفاتهم،وإن كانت شتاتاً،على غير ما نعهده،في الدّراسات اللّسانيّة الحديثة والمعاصرة،في كونها جوهر المادّة اللّهجيّة،إلاّ أنّها تُمكّن الباحث اللّساني خصوصاً،الأنثروبولوجي عموماً،والشّغوفين الفضوليين،من الهواة العلميين،من الوقوف على كمٍّ هائلٍ من الأطالس الجغرافيّة اللّغويّة القديمة،للموطن الأوّل،وإجراء المقارنة البيئيّة،الجغرافيّة والجيولوجيّة،والاجتماعيّة والنّفسيّة،البدويّة والحضارية،للموطن المهاجر إليه،من الغرب الجزائري الذّي هو ميدان المعاينة؛ليُتوّصل إلى نتائج مبهرةٍ،وغايةً في الرّوعة،وإن ارتبطت بمباحث**extra linguistique** كعلوم الأصالة،والثّقافة والأنثروبولوجيّة،والاجتماع والنّفس،والتّاريخ، وغيرها من العلوم الإنسانيّة.

أوّلاً: المسح الجغرافي الإقليمي اللّهجي :le bailliage géo-climatique et dialectique

لقد أعطت ملاحظات اللّغويين والنّحاة القدامى،في توزيع الظّواهر اللّهجيّة،على أطلس الجزيرة العربيّة، الواقعة بين خطّي طول(40و60)غرباً،وبين خطّي عرض(10و36)شمالاً،وإلحاقها بقبائلها اللاّهجة بها،ثماراً يانعةً،خاصّةً في ظلّ تطوّر وسائط الرّصد الجيولوجي والجغرافي المعاصرة؛لتُوضع هذه الأخيرة،على الخرائط الجغرافيّة،وتحدّد بيئاتها الإقليميّة،والتّضاريسيّة الجيولوجيّة[12].وقد كانت على النّحو التّالي:

1- البيئة الإقليميّة البدويّة :

لعلّ نصّ الفارابي(-339هـ)المعهود،في تحديد القبائل العربيّة،المأخوذ عنها،قواعد التّقعيد للّغة العربيّة، كافٍ أن يضع أصابعنا على مسائل،تُستنتج بالإسقاط الرّياضي المنطقي،على فصاحة القبائل المذكورة في النّصّ، وموافقةً لتفرّع اللّهجات عن الفصحى،المرصودة عن القبائل نفسها؛من ذاك قوله":**كانت قريشٌ أجودَ العربِ انتقاءً للأفصحِ من الألفاظِ،وأسهلِها على اللّسانِ عند النطقِ،وأحسنِها مسموعاً،وإبانةً عمّا في النّفسِ،والّذين عنهم نُقِلَت اللغةُ**

العربيةُ،وبهم اقتُدي،وعنهم أُخَذ اللّسانُ العربيُّ من بين قبائلِ العربِ هم:قيسٌ وتميمُ وأسدٌ، فإنّ هؤلاءِ هم الّذين عنهم أكثر ما أُخذ ومعظمُه،وعليهم اتُكِلَ في الغريب،وفي الإعراب والتصريف،ثُمَّ هذيل وبعضُ كنانة وبعضُ الطّائيين،ولم يؤخذْ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يؤخذْ عن حَضَرِيٍّ قَطُّ، ولا عن سكّانِ البراري ممّن كانَ يسكُنُ أطرافَ بلادهم،الّتي تجاورُ سائر الأممِ الّذينَ حولَهم،فإنَّه لم يُؤخذْ لا من لخْمٍ ولا من جذام،فإنَّهم كانوا مجاورين لأهلِ مصرَ والقبط،ولا من قُضاعةَ،ولا من غسانٍ،ولا من إيّادٍ، فإنهم كانوا مجاورين لأهلِ الشامِ،وأكثرُهم نصارى،يقرأون في صلاتِهم بغيرِ العربيّةِ،ولا من تغلبَ،ولا النّمر فإنَّهم كانوا بالجزيرةِ مجاورين لليونانية،ولا من بكرٍ،لأنَّهم كانوا مجاورين للقبطِ والفرسِ،ولا من عبدِ القيسِ، لأنّهم كانوا سكّانَ البحرين، مخالطين للهندِ والفرسِ،ولا من أزدِ عُمان،لمخالطتِهم للهندِ والفرسِ،ولا من أهلِ اليمنِ أصلاً لمخالطتِهم للهندِ والحبشةِ،ولولادةِ الحبشةِ فيهم،ولا من بني حنيفةَ وسكّانِ اليمامةِ،ولا من ثقيفٍ وسكّان الطّائفِ لمخالطتِهم تجّارَ الأممِ المقيمين عندَهم،ولا من حاضرةِ الحجازِ،لأنَّ الّذين نقلوا اللّغةَ صادفوهم، حين ابتدأوا ينقلون لغةَ العربِ،قد خالطوا غيرَهم من الأممِ، وفسدتْ ألسنتُهم، والّذي نقل اللغةَ،واللسانَ العربيَّ عن هؤلاءِوأثبتَها في كتابٍ وصَيَّرَها عِلماً وصناعةً هم أهلُ الكوفةِ والبصرةِ فقط،من بين أمصارِ العربِ،وكانت صنائعُ هؤلاءِ الّتي يعيشون منها الرّعايةَ والصّيدَ واللّصوصيةَ،وكانوا أقواهم نفوساً،وأقساهم قلوباً،وأشدَّهم توحّشاً وأمنعَهم جانباً،وأشدَّ همحميّةً،وأحبَّهم لأنْ يَغلِبوا،ولا يُغلَبوا،وأعسرَهم انقياداً للملوكِ، وأجفاهم أخلاقاً،وأقلَّهم احتمالاً للضّيمِ والذّلةِ.[13]"يحدّد النّصّ القبائل الأكثر عراقةً في البداوة،بعيدين عن الاختلاط الأجنبي،من الأمم المجاورة للعرب،في أواسط الجزيرة، والنّائية بدورها عن الحواضر،الّتي تقع في غالبها على التّخوم**[14]**،لتُستثنى قريش بمكّة؛لأنّها محضر تشعّب الحيوات:الدّينيّة والسّياسيّة، والاقتصاديّة والثّقافيّة وغيرها،فأخذ أفرادها خلاصة الظّواهر اللّغويّة واللّهجيّة وزبدتها،بما يوافق طباعهم،ونمط عيشهم الحضري،دون أن يفسد لسانهم.

ويكشف النّصّ أيضاً،عن مسائل تبدو غير واضحةٍ،وغير مصرّحٍ عنها،إلاّ أنّها تكمّل ما جاء من الدّراسات الصّوتيّة،في هذا الصّدد،والمتعلّق بهذه القبائل البدوّيّة،من خصائص لهجيّةٍ،تمثّلت فيما يلي:

1-1 ما تعلّق بالصّوامت :

1/الميل إلى الأصوات المتوزّعة في وسط الفم:" **Les sons de cavités buccales**"يتطابق هذا،وإيغال القبائل البدويّة في وسط الجزيرة،والحياة العروبيّة،فكانت أشدّ تمييزاً،لتميّزهم عن سائر عرب التّخوم والحضر؛من ذاك ما جاء من:**الاستنطاء** بإبدال العين نوناً؛نحو:أعطى:أنطى،وهو فيسعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار، و**التّضجّع** بالتّباطىء والتّراخي في الكلام،وهو في قيس،و**التّلتلة** بكسر حرف المضارعة،وتنسب لبهراء،وهي في قيس وتميم وأسد وربيعة،وعامّة العرب،و**الشّنشنة** بإبدال الكاف شيناً، فيقولون في لبيك: لبيش،وهي في تغلب واليمن،و**الطُّمَطْمانِيّة** بجعل لام التّعريف ميماً،وهي في حمير وطيّء والأزد،و**العجعجة** بإبدال الياء جيماً،فيقولون في تميمي:تميمج،وهي في قضاعة،و**العنعنة** بإبدال همزة أنّ وإنّ عيناً،وهي في تميمٍ وأسد وقيس وما جاورهم،و**الغمغمة** وهي عدم بيان الكلام،وهي

في قضاعة،و**الفحفحة** بإبدال الحاء عيناً،فيقولون في حتّى عتّى،وهي في هذيل،و**القطعة** وهي قطع الكلمة قبل تمامها،وهي في طيّء،و**الكسكسة** بإبدال كاف المخاطبة سيناً،أو زيادتها بعد الكاف،فيقولون في أعطيتك:أعطيتكس،وهي في بكر وهوزان،و**الكشكشة** بإبدال كاف المخاطبة،أو زيادتها بعد الكاف،فيقولون في أعطيتكِ: أعطيتكِش،وهي في بكر بني عمروٍ بن تميم،و**الوتم** بقلب السّين تاءً،فيقولون في النّاس:النّات،و**الوكم** بكسر الكاف من ضمير المخاطبين المتّصل(كُم)إذا سُبِق بكسرةٍ وياءٍ فيقولون في بكُمْ:بِكِمْ،وهو في ربيعة،وقوم من كلب، وناس من بكر بن وائل،و**الوهم** بكسر الهاء في ضمير الغائبين المتّصل(هُمْ)، فيقولون في مِنهُمْ وعَنهُمْ:مِنْهِمْ عَنْهِمْ[15].

2/الميل إلى الأصوات الشّديدة:"Les sons explosives"وهي أصوات قويّةٌ سريعةٌ،الّتي تطرق أذن السّامع،لما لها من الانفجار والفرقعة[16]،وتلك طباعهم في الإسماع،بما في النّفس من الشّدّ والجفاء؛من ذاك تردّد أصوات الباء والتّاء والدّال والكاف،وأغلب أحوال الإبدال اللّغوي،متعلّق بالانتقال من صوتٍ رخوٍ إلى نظيره الشّديد،وقد عُرِفَ تسويغ هذا.ولعلّ ما يعضد هذا ارتداد مخرج الجيم الفصيح،إلى الخلف قليلاً،وانحباس النّفس معه انحباساً كاملاً،مع حفظ الجهر لهما جميعاً[17].

3/الميل إلى الأصوات المجهورة:ولعلّ تسويغ هذا،شساعة الفضاء البيئي الجغرافي،ليكون الإسماع أكثر وضاحةً وإبلاغاً[18].

1-2 ما تعلّق بالصّوائت :

وأمّا الظّواهر اللّهجيّة المتعلّقة بالصّوائت،فالرّاجح فيها أنّها متأثّرة بالبيئة الإقليميّة المحضة،ممّا توطّن العربي الأوّل،من أرضٍ مستويةٍ،وارتفاع الكتل الجبلية والتّلال،وانكسارها بجانب الأوديّة؛من ذاك:

1/الميل إلى الفتح،ويمثّل سكنى العرب الأراضي المستوية،في أكثر الجزيرة.

2/الميل إلى الضّمّ القصير،والطّويل في المعاقبة الحجازيّة[19]،وما جاورها من القبائل،فأهل الحجاز أهل سافلة[20] والضّمّ بنوعيه سبب علوٍّ،لهجاً ونظراً.

3/الميل إلى الكسر،وسببه انكسار في النّظر،وهو ما نتج عنه في اللّهج،ويمثّل قبائل تميم،وهم أهل عاليّةٍ[21]. ولعلّ ما يعضد هذا،أنّ الميل إلى الإمالة،وهو المقرون بدرجة الانكسار الجغرافي،في البيئة الإقليميّة،والميل إلى نظيره التّفخيم،المقرون بدرجة العلوّ؛فأوّله الانتقال إلى الضّمّ،وأوسطه الانتقال بالفتح والألف،نحو الضّمّ والواو، وأشدّه الإعلال،من الألف والياء إلى الواو.

2- البيئة الإقليميّة الحضريّة :

تكشف النّصوص الشّتات،في المصنّفات الصّوتيّة اللّهجيّة العربيّة القديمة والحديثة،عن بعض الطّباع اللّهجيّة، الّذي تخصّ سكّان الحضر،دون غيرهم من البدو الخلّص، بإحداث الأمر معكوساً عند هؤلاء؛من ذاك :

2-1-1 ما تعلّق بالصّوامت :

1/ الميل إلى الأصوات الشّفهيّة وبعض الحلقيّة:ويتمثّل هذا في الإبدال اللّغوي،من صوتٍ فمويٍّ غاريٍّ،إلى نظيره الشّفهيّ،في أغلب أحوال الإبدال،في البيئة الحضريّة،الأكثر ليونةً وتحضّراً،وإلى الأصوات الحلقيّة،في أضعف أحواله،للرّقة وسعة الحياة.

2/ الميل إلى الأصوات الرّخوة:تميل الحياة المستقرّة،في البيئة الحضريّة،إلى سهولة النّطق،بإبدال الأصوات الشّديدة رخوةً[22].

3/ الميل إلى الأصوات المهموسة:وتمثّل هذا في بعض أحوال القراءات الشّاذّة،وفي موضعٍ نظيرٍ للفحفحة[23].

2-1-2 ما تعلّق بالصّوائت :

1/ الميل إلى الفتح:الملاحظ على الحياة الحضريّة سكنى الأراضي المستوية،والفتح أنسب من نظيريه المنكسر والعالي.

2/ الميل إلى الكسر:لعلّ عموم ظواهر:التّلتلة والوكم والوهم،أدلّةٌ صريحةٌ على ميل العربي رغبةً،إلى النّعومة والرّقّة[24].

ثانياً: المسح البيئي الاجتماعي النّفسي واللّهجي :le bailliage socio-psychique et dialectique

2-1 البيئة الاجتماعيّة والنّفسيّة البدويّة :

الملاحظ أنّ الحياة البدويّة،وانحصارها في أواسط الجزيرة،قد ألقى بظلاله اللّغويّة واللّهجيّة،على سلوك القبائل القاطنين،في هذا الفضاء الصّحراوي البدوي الرّحب[25]،فانحصرت أحوال الإبدال اللّغوي،من إبدال الصّوامت من الصّوامت،الّتي اختّصت بتجويف الفم،دون غيره من الأحياز الخمسة الأخرى،إلاّ ما جاء من الاستنطاء والعنعنة والفحفحة،وتلك تعلّقت بأصوات الحلق؛ ليبلغ الجفاء اللّهجي،من نظيره الاجتماعي والنّفسي،إلى حدّ الغمغمة،من عدم بيان الكلام،لانطواء هؤلاء على أنفسهم.وينضاف إليه ثقل الحركة الكلاميّة،بما أُصطلح عليه بالتّضجّع،،عند الإنسان البدوي،لفراغه من أعماله اليسيرة،والأقلّ نشاطاً،وسعة الوقت في حياته المعهودة والنّفسيّة،وقد انعكس على سلوكه اللّهجي.ولعلّ الّذي يرجّح اهتمام البدوي العربي،بالظّواهر اللّهجيّة المتعلّقة بالصّوامت،بأوفر حظٍّ،تمثّل البيئة الإقليميّة، وإسقاطٌ للتّعامل اليومي المعيش،بين أفراد هؤلاء، تعبيراً عن مكنونات النّفس.وأمّا تأويل ميل البدوي،إلى الأصوات الشّديدة ذات الفرقعة،فظاهره ما يجوب النّفس من الشّدّ والجفاء،وإرعاب العدوّ المحتمل بالكلام،حتّى تكون الرّهبة بالصّوت الشّديد،والقوي السّريع.

2-2 البيئة الاجتماعيّة والنّفسيّة الحضريّة :

لا شكّ أن يكون الأمر معكوساً،إن تعلّق بالحياة الحضريّة،المتأثّرة بالإقليم الجغرافي،الأكثر اعتدالاً من جغرافيّة البدو،عند تخوم الجزيرة،وما ينجرّ عنه من اعتدال الأحوال الاجتماعيّة والنّفسيّة،من عاملين أساس؛هما الحياة المستقّرة،بفعل الأرض المستوية، موطن الحضر،والاختلاط بالآخر،ممّا في الانفتاح النّفسي،ونبذ الجفاء والقساوة،الّتي كانت للبدوي.وأمّا الظّواهر اللّهجيّة الحضريّة،فهي ناطقةٌ بلسان حالهم الرّغد؛من ذاك:ميلهم إلى الكسر والإمالة،دلالةً على نعومة التّحضّر،واليسر في العيش،والرّقّة والتّصغير، وقصر الوقت،واختلاطهم بالأنوثة[26].وينضاف إلى هذا أيضاً، ميل الحضري

إلى الأصوات الرّخوة،لما يلقاه من عيشٍ رغدٍ،وإلى الأصوات المهموسة،لضيق الفضاء،وكثرة الدّور في الحي العربي الحضري،فلا يحتاج إلى قوّة الإسماع،في حين قرب مخاطَبِه.كما أنّ سرعة الحركة،في الحياة الحضريّة،قد أثّر في السّلوك اللّهجي،وفي طباع الإنسان،من الإسراع في الكلام،لينصرف إلى أعماله الواسعة.ويزيد عليه أنّ عامل الاجتوار والاحتكاك بالآخر،زاد من يسر الكلام عند الحضري؛نحو ميله إلى الإمالة،عند تخوم الجزيرة،وهي في الأمم العبريّة والآراميّة،ممّا عرفتها الحواضر العربيّة القديمة.

❖ **الأطلس اللّهجي لمنطقتي البيّض وتلمسان :**

توافق التّركيبة الجيوإقليميّة لمنطقتي البيّض وتلمسان،بعدّهما ميدان الدّراسة،لأنموذجين من اللّهجات الجزائريّة الغربيّة،تلك البيئة الجغرافيّة،ونظيرتها التّضاريسيّة،الّتي تمثّل الجزيرة العربيّة،بما في ذلك من العناصر الطّبيعيّة المتشابهة.من ذاك:التّموقع الإقليمي الرّابع الأوسط،الّذي يوحّد بلاد العرب جميعاً؛ وتقع الجزيرة بقسمه الثّالث،في حين يقع المغرب الإسلامي،في قسمه السّادس،على ما ذكره ابن خلدون(**808**هـ)[27].وينضاف إليه موقع الغرب الجزائري،من الدّائرة العرضيّة(29و35)درجةً شمالاً،ليقع على حدّ الثّلث الشّمالي من الجزيرة،ذي التّضاريس المتنوّعة:الصّحراويّة والبدويّة،والكتل الجبليّة،وبعض السّهل،المناسب للحياة الحضريّة.

ولمّا تشابهت الطّبيعة الجغرافيّة والإقليمية،في الجزيرة العربيّة،والغرب الجزائري،إلى حدّ التّطابق،في بعض الجزئيّات البيئيّة،كان بدّاً إن تكون الظّواهر اللّهجيّة،والّتي هي نتاج البيئة والإقليم،أن تتشابه بالقدر الّذي يكون عليه السّبب.وعلى هذا تمّ رصد جمهرة من المفردات الاعتياديّة،في التّكلّمات اليوميّة، لتكشف عن مناحي غير يسيرة،في الموروث اللّهجي الجزائري العربي القديم؛والّتي لم تكن من محض المصادفات،وإنّما هي تراكمات،لعدّة عوامل تاريخيّة ولغويّة،مرّت بها الجزائر،وتحيلنا مرةً أخرى على نتائج جدّ مرضيةً،قد تستثمر في جوانب علميّةٍ أخرى،كما تكون منطلقاً لأبحاث تاريخيّة مؤسّسةٍ.

أوّلاً: المسح الجغرافي الإقليمي اللّهجي لمنطقتي البيّض وتلمسان :

1- منطقة البيّض :

تكشف مفردات التّعامل اليومي العفويّة،للفرد بمنطقة البيّض،خاصّةً تلك الّتي تتعلّق بالحياة البدويّة،عن ظواهر لهجيّةٍ عربيّةٍ قديمةٍ،قدم الجذور الأصوليّةٍ،للرّقعة الجغرافية محلّ الدّراسة؛ودون الغور في أصول أفراد المنطقة،الّتي تعود إلى قبائل العامريّة المهاجرة،وبعضٍ من سلالة محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه.ينضاف إليه بعض أحوال الاجتوار العبري،الّذي كان حضوره محتشماً،في الأداء التّكلّمي اليومي،نظراً لقلّة أفراده،في فترة زمنيّةٍ غير محدّدةٍ،من عمر المنطقة،كما هو الحال في ضواحي تلمسان؛إلاّ أنّه واعتماداً على الوثائق الجغرافيّة[28]،وشجرة أنساب ولاية البيّض وما جاورها من الجنوب الغربي الجزائري[29]،ورصد الظّواهر اللّهجيّة لهذه الأخيرة،تمّ تسجيل بعض الملاحظات اللّغويّة،والّتي كانت على النّحو التّالي:

1-1 لهجات البيئة الإقليميّة البدويّة لمنطقة البيّض :

– **إبدال الغين قافاً**[30]،وهي سمة المنطقة،على كامل ربوعها؛ومنه أقولهم:**قرّاف** و**مقرف**،في:غرّاف ومغرف، وغير هذا متلئّبٌ.

– **إبدال قاف غيناً**[31]،وهي سمة الجهة الشّرقيّة من الولاية خاصةً،ويشتركون وبعض الجعافرة في هذا؛من ذاك قولهم في قويدر: **غويدر**.

– **إبدال القاف ڤافاً**[32]،وتشترك المنطقة في هذه المسألة،وكلّ الأصول العربيّة اللاّهجة بهذا،في الجزائر وغيرها من الأمصار العربيّة.

– **الاستنطاء**[33]،وهي سمة بعض الجهة الغربيّة من الولاية،فيقولهم:**أبد السّلام** و**الأربي**،في وعبد السّلام والعربي.

– **ظواهر لهجيّة عربيّة قديمة**؛ومنها:**الغمغمة** في عدم بيان الكلام،و**التّضجّع** في ثقل الكلام أيضاً، و**العنعنة** في قولهم:**علف** و**علفين**،**وخَلْقٌ وعُمّة**،في ألف وألفين،وخلق وأمّة،و**القطعة** في لفظ الجلالة القادر،واسم محمّد،بقولهم:**عبد القا**،و**حمّو**،و**يا حى**،في **يا حيّ**،على غرار الولايات المجاورة لها،و**الفحفحة** وهي محصورةٌ جدّاً في قولهم:**عتّى هو**،في حتّى هو،وبعض أحوال **الوكم** و**الوهم**،وقد عُرِفَ هذا من قبل.وأمّا ما جاء من **الوتم**،فالخبر من طريق الحكاية الشّعبيّة، والّذي مفاده استعمال هذه الظّاهرة،في طقوس السّحر،من سورة النّاس،بإبدال السّين منها طاءً،والرّاجح أنّها تاءٌ حدث بها جهرٌ،فكانت طاءً.وذلك في إحداث الفتنة،بين أفراد القبيلة الواحدة، المجتمعين في الأعراس والميعاد،انتقاماً منهم، لينقلبوا خصوماً متناحرين،يضربون بعضهم بعضاً، وقد يصل إلى الاقتتال.

– **الميل إلى الإمالة**،يتدرّج الميل إلى الإمالة،بحسب العلوّ في المنطقة والاستواء؛إذ تميل المواطن القريبة من جبال **كْسال**،إلى الشّديدة منها،وتميل المواطن المستويّة إلى الفتح،وأخفّ أحوال الإمالة.

– **تحقيق الصّوامت اللّثويّة الملفوثة**،وهي سمة بارزةٌ في المناطق البدويّة من الولاية.

– **القلب المكاني**،في قولهم:**عماهُم وعماه**،في معاهم(معهم)ومعاه(معه).

– **الزّيادة في كمّ المقاطع الصّوتيّة القصيرة**،ويبدو الأمر شائعاً في ربوع الجزائر،إلاّ أنّ أفراد المنطقة،يطيلون في المقاطع القصيرة،بشكل لافت للنّظر،فيقولهم:**يا وِيلِي** و**يا حى** و **شي**،**في**:يا وَيْلِي،ويا حَيْ،وشيءٍ،وهذا غير يسيرٍ .

– **الميل إلى مفردات المعجم البدوي الرّعوي**،يستعمل بدو المنطقة،الألفاظ الدّالّة على أنشطة الحياة البيئية الطّبيعية،ورأسها الرّعي،فيقولهم:**الولد نكع مّه**،في رضع أمّه،قياساً على الخراف،و**برمش لقمك**،في أُصْمُتْ، و**شرشم** البيض،في سلق بيضاً .

2-1 لهجات البيئة الإقليميّة الحضريّة لمنطقة البيّض :

لا تختلف هذه الأخيرة،عن التّصرّف التّكلّمي الوطني عموماً،إلاّ أنّ حال إبدال الغين قافاً،سمة الولاية كلّها، زيادةً على ميل المتمدّنين من أفراد المنطقة،إلى الأصوات والشّفهيّة والرّخوة والمهموسة،إلى الفتح والكسرة والإمالة، وبعض أحوال التّلتلة،على ما يعرفهُ التّمدّن،من سلوك لغويٍّ لهجيٍّ معهودٍ.وقد تكون الإمالة في منطقة بدويّة مستويةٍ، مفسّرةً

جغرافيّاً،وعلى غير عامل الاجتوار العبري لسكّان المنطقة،في فترة زمنيّةٍ متقدّمةٍ –قد تكون ما قبل الاستعمار الفرنسي– والّذي يكون ذا احتمالٍ ضئيلٍ.ومن جهة أخرى،يسجّل لأهل المنطقة،التّمدّن الفكري والثّقافي ،على الرّغم من تمسّكهم بالحياة العروبية،في أثناء وجودهم،بين أفراد بيئتهم، على غير الاعتياد،وخروجاً عن النّظريّة،واستثناءً مدهشاً،من شغف أهل المنطقة بالعلم والمعرفة والثّقافة،وهذا حالهم على مرّ عهودٍ.

2– منطقة تلمسان :

يسهل على السّامع،مريد رصد الظّواهر اللّهجيّة،لمنطقة تلمسان وما جاورها،لاسيما تلك الّتي تعلّقت بالحياة الحضريّة،أن يشكف عن مباحث تاريخيّة،ذات أهميّةٍ واسعةٍ،من تاريخ الجزائر كلّه،على عدّ تلمسان أهمّ حاضرةٍ جزائريّة ومغاربيّةٍ،في المغرب الإسلامي،وعلى تعاقب الجماعات البشريّة،والأمم والدّول عليها،من مختلف الأصول العرقيّة،السّاميّة وغير السّاميّة.وليسجّل حضورها الغزير،في لهجات التّعامل اليومي،الّذي لا يزال ينطق بلسان حال تأثير أصول الأنساب،وآثار الاجتوار السّامي،والاحتكاك الحضاري والثّقافي،والاجتماعي والاقتصادي؛واعتماداً على وثيقة جغرافيّة تلمسان،وبعض الحكايا العرفيّة،والمدوّنات المسموعة،تمّ تسجيل بعض الملاحظات اللّهجيّة؛فكانت كالآتي:

2–1 لهجات البيئة الإقليميّة الرّيفيّة لمنطقة تلمسان :

لم تعرف منطقة تلمسان البدو،كما هو شائعٌ،إلاّ أنّ لهجة الرّيف التّلمساني،تختلف عن لهجات الحضر، بشكلٍ ملحوظٍ؛من ذاك:

– **تحقيق القاف والضّغط عليها**[34]،وهي سمة سكّان ريف نذرومة وما جاورها؛فيقولهم:**قتْلك**،في قلتُ لك، و**رَقَّبْتِي**في رقبتي.

– **إبدال القاف ڤافاً**،وهي سمة واسعة الانتشار،من سكّان أرياف تلمسان،على غرار الأصول العربيّة في هذا، وقد سبق ذكره.

– **الميل إلى الإمالة الشّديدة**،وهي سمة ريف المهاريس،وما جاورها من المناطق الجبليّة؛فيقولهم:**فين هي ووين هي** بصائت"**é**".

– **إبدال القاف كافاً**،وهي سمة ريف السّواحليّة والتّونان وما جاورهما؛فيقولهم:**كلبي وعبد كادر**،في قلبي وعبد القادر،وغير مطّردٌ

– **إبدال الكاف قافاً**،وهي محصورةٌ بعض أمسيردة الفواقة،في:**الصّردوق والبلوق**،من السّردوك(الدّيك) والبلوك (الحجر الكبير).

– **إبدال الكاف شيناً**،وهي سمة ريف السّواحليّة والتّونان،وما جاورهما،وقد تسمّوا بأهل شاشان،نسبةً إلى هذه الظّاهرة اللّهجيّة؛ومنها قولهم:**تْشَلْبي والشّبشة**،في كلبي والشّبكة،وغير هذا كثيرٌ.

– **الكشكشة**،وهي لأهل شاشان أيضاً،غير أنّها تختلف عن بكر بن عمرو بن تميم،لاقترانها بكاف خطاب الجنسين،على الأمر المرجوح،إلاّ أنّه يتبّن أنّها مظهرٌ من مظاهر الشّنشنة؛ومنها قولهم:**هذا ربّش وهذا كلامش**، في هذا ربّك وهذا كلامك[35] .

– **إبدال الكاف شيناً بعد إبدالها من القاف**،وهي سمة أهل شاشان أيضاً؛فيقولهم:**وشتاش** في **وكتاش**)وقتاش(في أي وقتٍ.

– **الميل إلى الإمالة الخفيفة والكسر**،وهي سمة أهل أمسيردة،وما جاورها من المناطق التّلّيّة المرتفعة نسبيّاً .

– **ظواهر لهجيّة عربيّة قديمة**:يمكن رصد بعضٌ منها في التّكلّمات اليوميّة،المتداولة بين الجماعات البشريّة؛من ذاك:**الوتم**،وقد ذكر في الحكايا الشّعبيّة قبل هذا،وبعض أحوال **الوكم والوهم والتّلتلة**.

– **الميل إلى مفردات المعجم الرّيفي الزّراعي**،يستعمل أهل ريف المنطقة،الألفاظ الدّالّة على أنشطة الحياة البيئية الرّيفيّة،ورأسها الفلاحة،وبعض الحرف الرّيفيّة .

2–2 لهجات البيئة الإقليميّة الحضريّة لمنطقة تلمسان :

يتبيّن من رصد اللّهجات الحضريّة التّلمسانيّة؛ما يلي:

– **إبدال قاف همزةً**[36]،وهي خاصّة بعض سكّان مدينة تلمسان ونذرومة؛ومنها قولهم:**أهوة وأُتْلك**،في قهوة، وقلت لك.

استعمال السّابقة حا قبل الأسماء المعرّفة بأل،وهي خاصّة بعض سكّان مدينة تلمسان ونذرومة أيضاً؛وهي في تسويغ السّابقة العبريّة**ה**،ومنها قولهم:**حا لمتين وحا لألفين**،في المئتين والألفين.

– **الميل إلى الإمالة الشّديدة**:جغرافيّة مدينة تلمسان لا تسوّغ الميل إلى الإمالة الشّديدة،بشكلٍ مؤثّر طبيعيّاً، ليكون مسوّغه التّأثير العبري،باحتمالٍ كبيرٍ،والآرامي باحتمالٍ ضئيلٍ،في بعض المفردات؛منها:**كي ريك؟وأخّاي** في**كي راك**)كيف أراك؟)وأخي.

– **التّأني في الكلام**،يختلف هذا عن التّضجّع،في اللّهجات العربيّة البدويّة القديمة.

– **مخاطبة الذّكور بخطاب الإناث**،ولعلّ هذا من رواسب الاحتكاك العبري،لتأصّله في المنطقة؛ومنها قولهم:**انْتِينَا آسَمْ تَعّمْلِي** في أنتَ ماذا تعمل؟.فالعبريون يميلون إلى إمالة ضمائر الخطاب الذّكوري؛ولا دخل لجغرافيّة المنطقة لمقارنتها بالمناطق،ذات الجغرافيّة المشابهة،في حين أنّها بعيدةٌ عن الاجتوار العبري؛الظّاهرة نفسها،في تونس والمغرب،وما جاورهما،من الموطن الجزائريّة المتاخمة لها.

– **فتح المقاطع الصّوتيّة الأخيرة**؛ولعلّ هذه الأخيرة من رواسب الاحتكاك الآرامي،المتأصّل أيضاً في المنطقة، وإن كان أقلّ حضوراً؛من ذاك:**الضَّرْسَة والسَّنَّة**،في الضّرس والسّنّ.فالآراميّة تجنح إلى فتح المقاطع الصّوتيّة الأخيرة، بصائتيها القصير،في أكثر الأحوال،والطّويل في أقلّها،وذلك بشكلٍ رئيسٍ،في المفردات اللّغويّة الآراميّة.

ثانياً: المسح البيئي الاجتماعي النّفسي واللّهجي لمنطقتي البيّض وتلمسان :

2-1 منطقة البيّض :

2-1-1البيئة الاجتماعيّة والنّفسيّة البدويّة لمنطقة البيّض :

لا تختلف الحياة البدويّة،لمنطقة البيّض،في هذه الآونة،عن تلك الّتي كانت للعرب القدامى،في الجزيرة العربيّة، إلاّ ما كان يسيراً منها،وهي الّتي حبكت الظّروف اللّغويّة واللّهجيّة،لسكّان القبائل الّذين استوطنوا المنطقة،والّتي تنماز بفضاءٍ صحراويٍّ رحبٍ.وقد نتج عن هذا مسائل لسانيّةٍ جغرافيّةٍ،في انحصار أحوال الإبدال اللّغوي،في الصّوامت الفمويّة،إلاّ ما جاء من الاستنطاء والعنعنة والفحفحة الحلقية، ليكون دليلاً على جفاء الحياة،وقساوتها طبيعةً،واجتماعيّاً اقتصاديّاً معيشاً ونفساً، وحدّةً في الطّباع.

هذا؛وتفسّر الغمغمة من عدم فصح الكلام وبيانه،بانطواء البدوي البيّضي في بيئته،وانعزاله النّفسي عن المحيطين به،ويوحي ثقل الكلام بالتّضجّع،على ثقل الحركة في البيئة البدويّة،وانعكاسها نفساً على البدوي،الّذي فرغ من أشغاله اليسيرة،وأنشطته الحيويّة المحصورة.كما يمكن تأويل تعلّق الصّوامت بأحوال الإبدال،هو انعكاس للبيئة الإقليميّة،وإسقاطها على التّعامل اليومي،والسّلوك العهدي للبدوي.وأمّا استعمال الأصوات الشّديدة،دون نظيرتها الرّخوة،وتحقيق اللّثويّة الملفوثة،دون غيرها المتفرّعة عنها،فميل البدوي إلى الفرقعة في الكلام والإسماع، والإفصاح عن الرّسائل اللّغويّة،والإرعاب والشّدّ النّفسي،والجفاء والشّدّة في العيش،وما انجرّ عنه في النّفس والسّلوك.

2-1-2البيئة الاجتماعيّة والنّفسيّة الحضريّة لمنطقة البيّض :

انصبّت الحياة الحضريّة بالمفهوم الحضاري والثّقافي،في عاصمة الولاية،بأوفر حظٍّ؛لاسيما أنّ طابع المنطقة بدويٌّ رعويٌّ صحراويٌّ،تقلّ فيه الحياة المدنيّة،بأنشطتها المتنوّعة والمعقّدة.ولما كان هذا أكثر حضوراً،انعكس على المنتوج اللّغوي اللّهجي اليومي المتداول،في تصرّف الإنسان البيّضي التّكلّمي،حيث قلّت الظّواهر اللّهجيّة الحضريّة؛نحو جنوح المتمدّنين،إلى الرّخاء واليسر في العيش،والنّفار من الشّدّة والجفاء،وحدّة الطّباع،والميل إلى النّعومة والأنوثة،في الخطاب اليومي،مع احتفاظهم بطابعهم الصّحراوي البدوي،والأصولي العرقي.ويسجلّ أيضاً قلّة الحضور الاحتكاكي بالجنس العبري،الّذي توطّن المنطقة،في فترة زمنيّة متقدّمة.

2- منطقة تلمسان :

2-2-1البيئة الاجتماعيّة والنّفسيّة الرّيفيّة لمنطقة تلمسان:

وافقت الحياة الرّيفيّة التّلمسانيّة،نظيرتها العربيّة القديمة الشّماليّة،الواقعة على الدّوائر العرضيّة نفسها للجزيرة بريف الشّام؛ليسجّل موافقة الطّباع الرّيفيّة التّلمسانيّة للشّاميّة،في تشابهٍ واسع النّطاق،من مناحي الحيوات الاجتماعيّة والاقتصاديّة،والثّقافيّة وبعضٍ من الطّقسيّة الدّينيّة؛من ذاك:موافقة تقليد ذبيحة الماعز في عيد الأضحى،للأضحيّة نفسها في الفصح العبريّ.

2-2-2البيئة الاجتماعيّة والنّفسيّة الحضريّة لمنطقة تلمسان:

تكشف طباع تلمسان اللّهجيّة الحضريّة،عن مكنونات حضاريّةٍ عربيّةٍ،في قسمها الشّمالي الشّامي،ب حيث ولع التّلمساني الحضري،بطباع أهل الأندلس المهاجرين،ذوي الأصول الشّاميّة،في الصّنائع والحرف، والموسيقى والثّقافة،والطّقوس الاجتماعيّة الحضاريّة،واحتفالات مواسم الزّراعة،والتّصرّف الكلامي،والمآكل والأثواب،وأطقم الصّيغة،وغير هذا كثيرٌ؛ممّا انعكس على السّلوك اللّهجي الحضري المحلّي.ينضاف إليه الاجتوار السّفارادي العبري والآرامي،من الأصول الشّاميّة السّاميّة،والآراغوني المهاجر من شبه الجزيرة الإبريّة،إلى الغرب الجزائري،وما حملوا من طباعٍ،وتحضّرٍ وتمدّنٍ،وصنائع وحرفٍ،وتصرّفٍ لهجيٍّ.

نتائج البحث العامّة :

اعتماداً على الأطالس الجغرافيّة،ومدوّنات المفردات اللّهجيّة لميدان الدّراسة،وأنساب المنطقة، وبعض الحكايا الشّعبيّة،كانت نتائج هذا البحث المتواضع؛فيما يلي:

- حافظت اللّهجات البدويّة والرّيفيّة والحضريّة،لميدان الدّراسة،على كمٍّ معتبرٍ من تلك كانت عليها في الجزيرة العربيّة.
- توطّنت الأصول العرقيّة المهاجرة بيئات،شبيهةً بتلك الّتي سكنتها،قبل في الجزيرة.
- حافظت الأصول العرقيّة المهاجرة،على طباعها الاجتماعيّة والنّفسيّة،كالّتي كانت عليها،في بيئاتها الأصل في الجزيرة.
- حافظ التّوزّع الدّيني،في بيئته الجديدة،على نسقه الّذي كان عليه في الجزيرة.
- ذابت اللّهجات الأمازيغيّة في العربيّة،بفعل الاحتكاك الدّيني اللّغوي،ولم يسجّل له حضورٌ،إلاّ في بعض الطّقوس الثّقافيّة.
- أثّر الاحتكاك العبري وبعض الآرامي،في الطّباع والثّقافة،والسّلوك اللّهجي.

الوثائق المرفقة :

الوثيقة المرفقة الأولى.

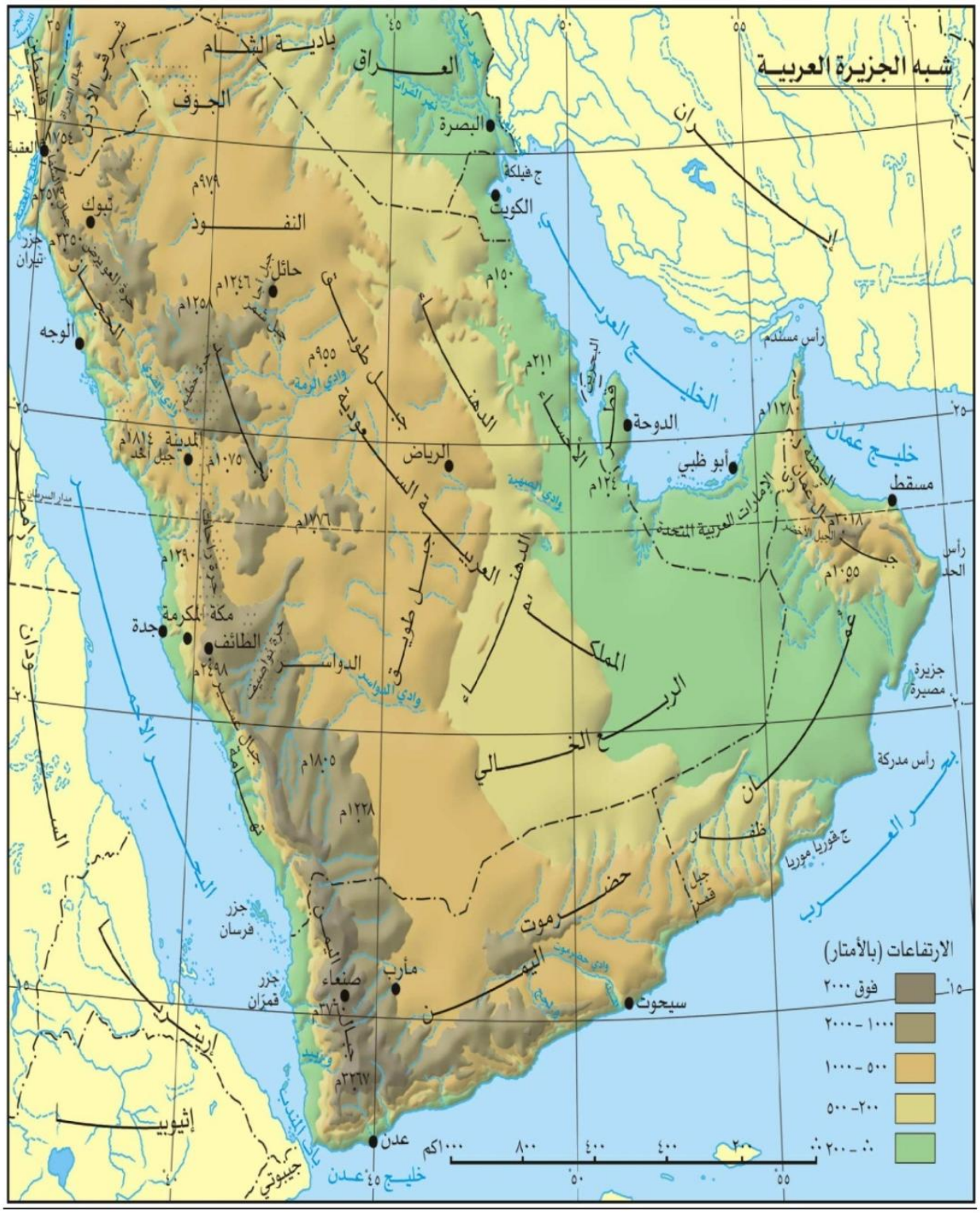

الوثيقة المرفقة الثّانية.

منازل القبائل العربية وديانتها قبيل ظهور الإسلام

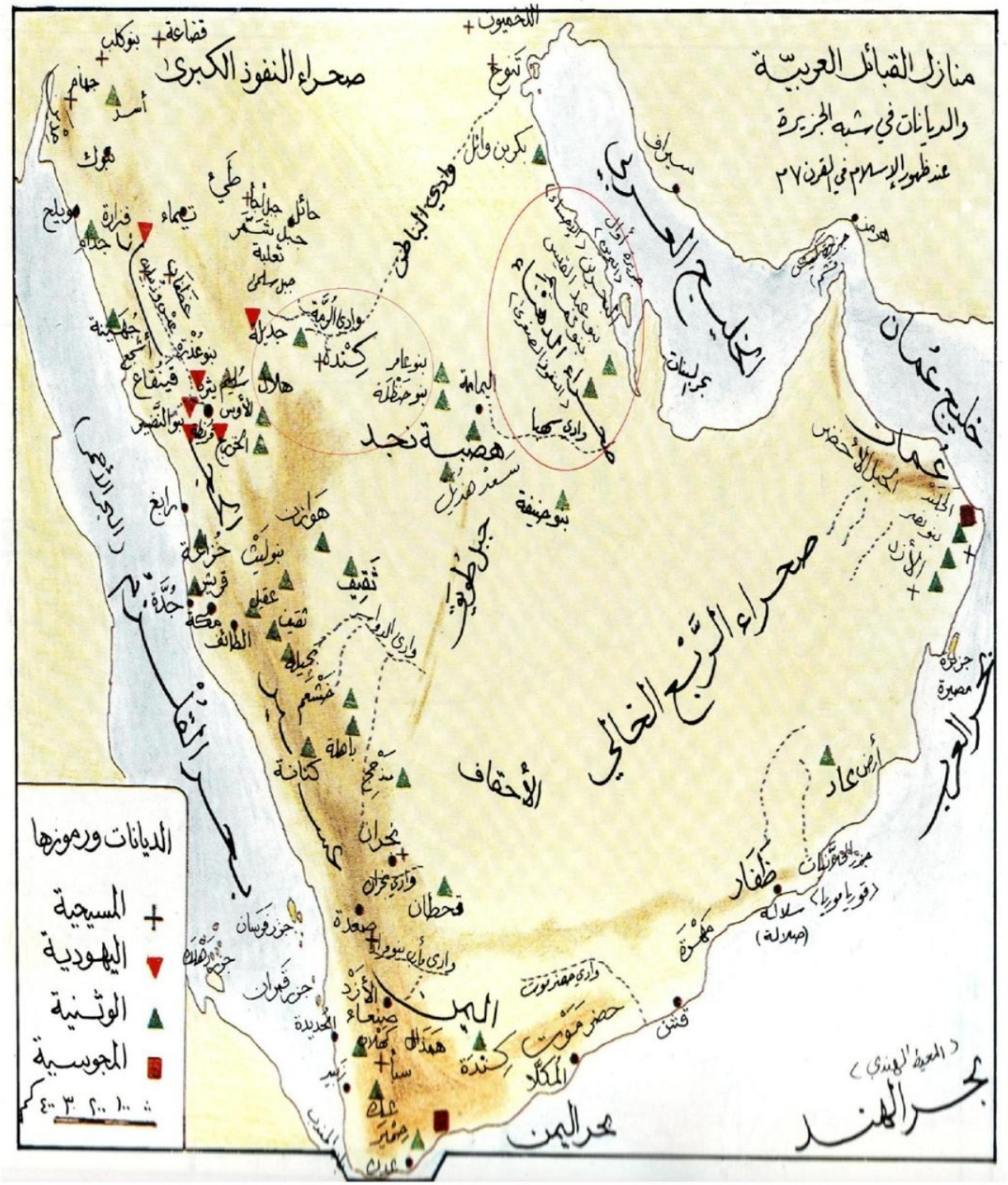

الوثيقة المرفقة الثّالثة.

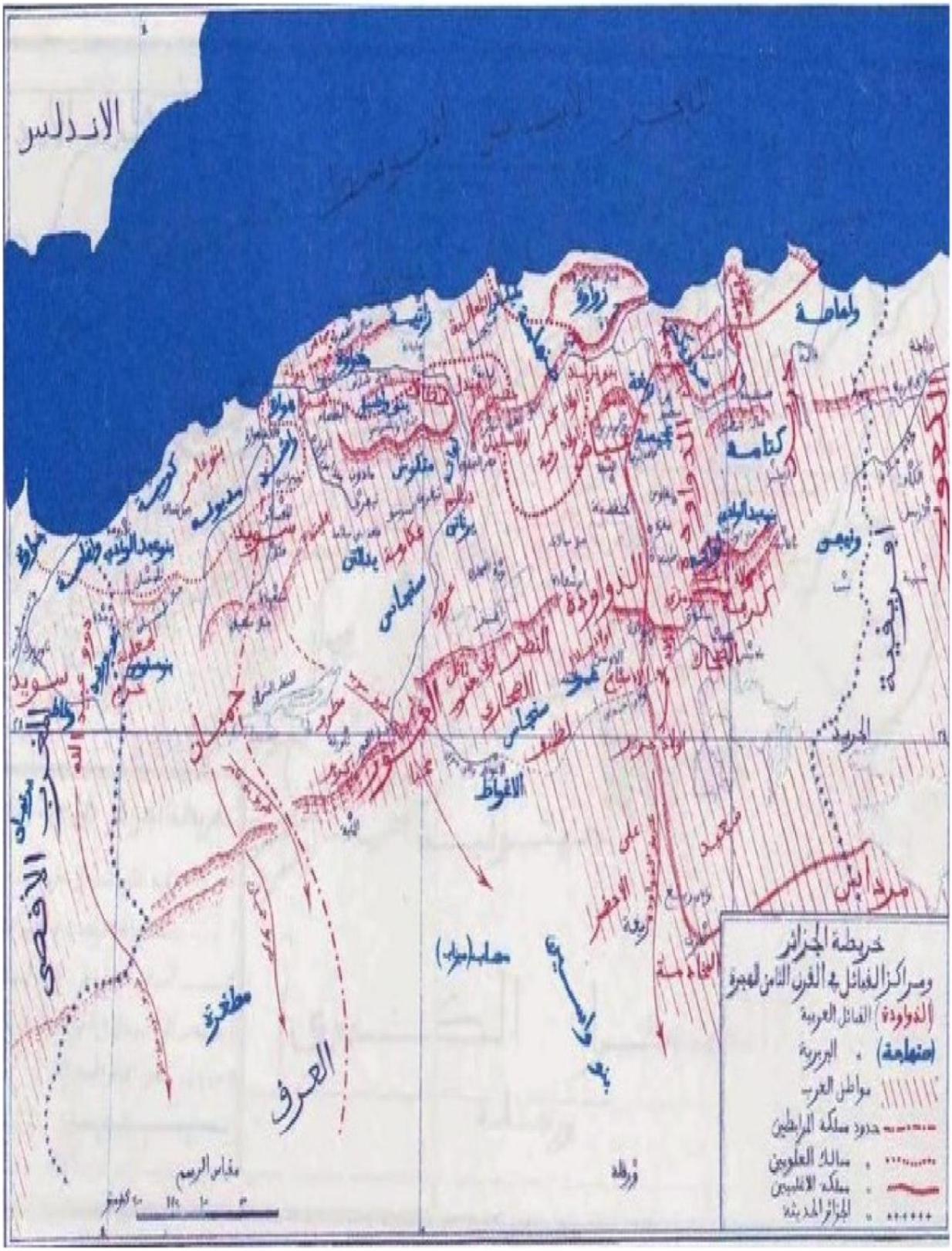

الهوامش:

[1]- سورة الرّوم- الآية:22.

[2]- ينظر:سيّد قطب:"في ظلال القرآن" دار الشّروق- لبنان- بيروت- ط12-1406هـ/1986م.ص:2764/5.

[3]- السّورة نفسها- الآيتان:06و07.

[4]- ينظر:ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين (711هـ):"لسان العرب- اللّسان-" دار المعارف- القاهرة- (د/ط)- (د/ت).- مادة"خَلَقَ".

[5]- ينظر:الحسن بن محمّد بن الحسن الصّغاني(650هـ):"العباب الزّاخر واللّباب الفاخر"تح:محمّد حسن آل ياسين - منشورات الوزارة الثّقافة والإعلام-العراق - (د/ط)- (د/ت)- مادّة(خ ل ف).وابن منظور:"لسان العرب"المادّة نفسها.

[6]- ينظر:ابن فارس أبو الحسين أحمد أبو الحسين زكريا(395هـ):"مقاييس اللّغة"تحقيق:عبد السّلام محمّد هارون - دار الفكر- بيروت- (د/ط)- 1399هـ/1979م.مادّة(ب ل ل).والفيروزأبادي أبو طاهر مجد الدّين محمد الشّيرازي(817هـ):"القاموس المحيط" الهيئة العامّة للكتاب مصر-القاهرة- - نسخة مصوّرة من الطبعة الثّالثة- عن المطبعة الأميرية-1301هـ.المادّة نفسها.

[7]- ينظر:ابن منظور:"لسان العرب"مادّة(ل و ن).

[8]- ينظر:ابن خلدون:"المقدّمة"تخريج الأحاديث:محمّد ناصر الدّين الألباني - دار ابن الجوزي- القاهرة-ط1-2010م-ص:55وما بعدها

[9]- ينظر:ماريوباي:"أسس علم اللّغة"ترجمة:أحمد مختار عمر -عالم الكتب- القاهرة- ط8-1419هـ/1998م- ص:133.وخليل محمود عساكر :"الأطلس اللّغويّ"مجلة المجمع العلمي- القاهرة-(د/ع)-1949م- ص:379/7.ورمضان عبد التوّاب:"الجغرافيّة اللّغوية والأطلس برجستراسر" مجلة مجمع اللّغة العربيّة- القاهرة- العدد:37- 1976م- ص:119/37-124.

[10]-أهمّ الأطالس اللّغوية التي قام بها الباحثون الغربيون جورج ونكر(G.Wenker)،وجلييون"Gillieron"ويعقوب"Docob Jud"وكارل بايرج" Karl Jabarg"وهانزكيوارث"H. Kurath"- ينظر:خليل محمود عساكر:"الأطلس اللّغويّ"- القاهرة- مجلة المجمع العلمي-1949م- ص7/:379.وينظر: David crystal, the comb rip Gee encyclopedia of language secoup edition, ((the linguistic atlas of England)) P: 30-33.

[11]-ينظر:سعد مصلوح:"عن مناهج العمل في الأطالس اللّغويّة" - حوليّات كليّة دار العلوم- الكويت- العدد5-1974/1975- ص:109.وعبد الحسين المبارك:"الأطلس اللغوي- إعداده وأهميّته في الدّراسات اللّغوية"(مخطوط)- نشر في حواشي مقال خالد نعيم الشّناوي:"الأطلس اللّغوي والبحث اللّساني عند العرب مقاربة منهجية"بتاريخ:25-05-2012،وفي تمام السّاعة:20.00،وذلك في الموقع الافتراضي: http://alnoor.se/article.asp?id=154851

[12]- ينظر:الوثيقة المرفقة الأولى.

[13]- الفارابي أبو نصر محمّد(360هـ):"كتاب الحروف"تحقيق:محسن مهدي - دار المشرق- لبنان- بيروت- ط2-1991م- ص:145.

[14]- ينظر:الوثيقة المرفقة الثّانية.

[15]- ينظر:جمال حسين أمين إبراهيم:"بنية الكلمة العربيّة" - مؤسّسة الرّسالة - دمشق- ط1-2008م- حواشي الصّفحتين:60و61.

[16]- إبراهيم أنيس(1977م):"في اللّهجات العربية" المكتبة الأنجلومصرية- مصر- القاهرة- ط1-2003م- ص:88 وما بعدها.

[17]- ينظر:المرجع نفسه- ص:93.

[18]- ينظر:المرجع نفسه- ص:94.

[19]-ينظر:ابن سيدة علي بن إسماعيل(458هـ):""المخصّص" دار إحياء التّراث العربي- لبنان- بيروت- ط1-1996م- ص:19/1.

[20]- روى المبرّد(285هـ)عن الأصمعي:"قال سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول:أفصح النّاس سافلة قريش وعالية تميم"- ينظر: أبو العبّاس محمد بن يزيد المبّرد:"الفاضل في اللغة والأدب"تح:عبد العزيز الميمني - دار الكتب المصريّة- القاهرة- ط1-1950- ص:113.

[21]- ينظر:المصدر نفسه والصّفحة.

[22]- ينظر:إبراهيم أنيس:"في اللّهجات العربيّة"ص:89 وما بعدها.

[23]- ينظر:المرجع نفسه- ص:94 وما بعدها.

[24]- ينظر:المرجع نفسه- ص:81 وما بعدها.

[25]- ينظر:المرجع نفسه- ص:78 وما بعدها.

[26]- ينظر:إبراهيم أنيس:"من أسرار اللّغة" المكتبة الأنجلومصريّة- القاهرة- ط6-1978م- ص:80وما بعدها.

[27]- ينظر:ابن خلدون:"المقدّمة"- ص:55وما بعدها.

[28]- ينظر:الوثيقة المرفقة الثّالثة.

[29]- ينظر:الوثيقة المرفقة الرّابعة.

[30]- على الرّغم من أنّ هذه الظّاهرة اللّهجية،عائدةٌ إلى القبائل العامريّة،إلاّ أنّ الباحثين العرب يتجاهلونها،في الصّحراء الجزائريّة عمداً.

[31]- السّحيمي سلمان بن سالم بن رجاء:"إبدال الحروف في اللّهجات العربية" مكتبة الغرباء الأثريّة- الرّياض- ط1-1995م- ص:273.

[32]- ينظر:ابن خلدون:"المقدّمة"- ص:508وما بعدها.

[33]- يتجاهل الباحثون العرب هذه الظّاهرة،في الصّحراء الجزائريّة أيضاً.

[34]- ينظر:ابن خلدون:"المقدّمة"- ص:508وما بعدها.

[35]- على الرّغم من أنّ الظّاهرة اللّهجيّة لأهل شاشان واسعة ومتنوّعة،إلاّ أنّها لا تدرج في أبحاث الباحثين العرب عمداً.

[36]- هذه الظّاهرة اللّهجيّة،خاصّة مدينة تلمسان،جوهرة المغرب الإسلامي،إلاّ أنّها لا تدرج في أبحاث الباحثين العرب عمداً.